

لم يجد تولستوي جواباً عن سؤال معنى الحياة، ولذلك التجأ إلى التاريخ والفلسفة. ففي حكمة النبي سليمان لم يستطع تولستوي أن يجد الإيمان الذي يخلصه من فكرة الانتحار التي كانت تراوده، لأن النبي سليمان نفسه رأى أن الحياة كلها تعب وأفكار مقلقة ولافائدة للإنسان من أتعابه تحت الشمس. اعتبر سليمان الحكيم أن لاجديد تحت الشمس، كل شيء يذوب تحتها.

لانكرى للأسلاف ولن يكون ذكرى للجيل الحالي وللأجيال القادمة. سينسى التاريخ جميعهم. وجد تولستوي في آراء النبي سليمان صدى لأرائه. فلقد كانت تجول بباله الأفكار ذاتها التي كانت تراود النبي سليمان حول عدم جدوى الحياة. ولذلك حاول أن يجد معنى الحياة في تعاليم الملك بوذا- مؤسس الديانة البوذية، ولكن النبي بوذا قال إن الحياة شقاء وتعب وتتخللها الأمراض والصعوبات وتنتهي بالشيخوخة والموت. وقال النبي بوذا لاعزاء في الحياة بل الحياة شر كبير بحد ذاتها، ولذلك يجب علينا أن نتخلص منها، وهكذا فإن إيمان وعقيدة بوذا والنبي سليمان لم تجيبا على تساؤلات تولستوي عن معنى الحياة ومضمونها، كما لم تجب عن هذه التساؤلات فلسفة سقراط وشبنهاور، أي الفلسفة في قديمها وفي حاضرها.

رأى تولستوي أن حياة الناس في الوسط البورجوازي فارغة وغير منطقية وغير عقلانية وتعني لاشيء أي تساوي الصفر. ولذلك أخذ تولستوي يفتش عن معنى الحياة عند أولئك الذي يصنعون الحياة أي يصنعون أسباب العيش لأنفسهم ولغيرهم، أي عند الشعب الكادح، ووجد تولستوي أن الشعب الكادح يحمل الإيمان المسيحي الحقيقي الصادق، وليس الإيمان المزيف الكاذب أو كل مايموه ويغطي الإيمان الحقيقي. تمر حياة الشعب الكادح كلها بالأعمال الصعبة وبالظروف المعيشية الفقيرة ومع هذا فإنه أقل تنمرأ من الحياة من الناس الأغنياء.

"يعمل الفلاحون، ويتحملون الحرمان والألم، يعيشون ويموتون ويرون في هذه الحياة الخير وليس الشر" (١٠٠ ص ٤٠). كما أنه كرر الأفكار ذاتها في بحثه بعنوان: "ما العمل؟". وفي كلمة له عن قصته "لحن كريتر" (١٠٠ ص ٤٦٤) ولقد أشار أحد النقاد واسمه كاشيرين إلى أن رواية "البعث" ١٨٩٩ هي الأكثر انتقاداً لرجال الدين (١٥٥ ص ١٥).

موقف رجال الدين من أفكار تولستوي:

لم تقف الكنيسة موقفاً غير مبالٍ من انتقادات الكاتب الروسي الكبير لتعاليم